معالي
أحمد أبوالغيط

الأمينُ العام لجامعة الدول العربية، شغل العديد من المناصب الدبلوماسية الرفيعة، منها أنه كان سفيرا لجمهورية مصر العربية في روما. ثم مندوبَها الدائم لدى الأمم المتحدة في نيويورك. قبل أن يشغل منصبَ وزيرِ خارجية جمهورية مصر العربية .

معالي أحمد أبـو الغيط

السيدات والسادة

أود بدايةً أن أعرب عن سعادتي بالتواجد في هذا المحفل الهام، وسط كوكبة فريدة من رجال الدين وأهل العلم والرأي والخبرة، الذين حضروا من أركان الأرض الأربعة إعلاء لقيمة الأخوة الإنسانية التي يناقشها مؤتمرنا من زوايا مختلفة. وأقف اليوم ممثلاً للمنظمة الإقليمية الحاضنة للعرب: (الجامعة العربية) التي هي في جوهرها رابطة تنطلق من إرث ثقافي وحضاري مشترك، وهي رابطة منفتحة على أديان مختلفة وأعراق متعددة، يجمعها كلها الانتماء إلى الثقافة والحضارة العربية.

والحق أن هذا المؤتمر يُعقد في المكان المناسب والزمان المناسب؛ الإمارات من الفضاءات المعدودة في هذه المنطقة من العالم التي تحتفل بالتنوع الإنساني والأخوة البشرية بمعناها الحقيقي، بل إن تجربتها المعاصرة قائمة على هذا التنوع.

أما عن الزمان، فلا أظن أن هناك موضوعاً أكثر إلحاحاً وأشد اتصالاً بالمستقبل من موضوع مؤتمرنا. إننا نعيش زمناً توفر فيه للبشر من أدوات الاتصال والتواصل ما يفوق أي عصر سابق في التاريخ الإنساني، وتهيأ لهم من أسباب المعرفة بالآخر -ثقافة وحضارة ولغة- ما يتجاوز أي مرحلة مرت على البشر من قبل. على أن هذا التواصل والاتصال لم ينتج -ما كان منتظراً ومتوقعاً- من تآلف بين البشر، وتآخٍ بينهم؛ بل نجد

أن النعرات العنصرية والطائفية والدعاوى القبلية تعود لتطل بوجهها القبيح، وأن النزعات الرافضة للآخر تتجذر وتتسع في أكثر من مكان من العالم. فالحاصل أن الاتصال في ذاته قد لا يكون سبباً في تقارب البشر، وإنما في بعض الأحيان – وإن لم يوضع في إطاره السليم- قد يكون طريقاً للاحتراب وسبيلاً للكراهية والبغضاء.

كيف نصون عالمنا من الارتداد إلى هذه الهوة السحيقة من الكراهية والقتل؟ كيف نخلق معاً مجالاً مشتركاً لأخوة بني الإنسان في عصر وسائط التواصل الاجتماعي والاتصال اللحظي؟

اسمحوا لي أن أضع أمامكم عدداً من الملاحظات القصيرة في محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة:

- أولاً: نحن أبناء منطقة حملت إلى العالم أول نداءات الأخوة البشرية؛ ذلك أن الأديان جميعها -والتوحيدية منها على وجه الخصوص- خاطبت الإنسان بوصفه إنساناً؛ لم تخاطب قبيلة بعينها أو جنساً بذاته.

المسيح عليه السلام يُدعى ابن الإنسان، والقرآن الكريم خاطب البشرية كلها: "هذا بيانٌ للناس". وليس صدفةً أن المسيحية والإسلام شكّلتا اللبنات التأسيسية لحضارات بالغة الاتساع، بطول الجغرافيا وامتداد التاريخ ؛ ذلك أن هاتين العقيدتين -وهما الأكثر انتشاراً في عالم اليوم-قفزتا فوق القبيلة والعنصر واللون والجنس... عبرتا حاجز المكان والزمان لتخلقا فضاء متاحاً للبشر على اختلافهم.

إن القاسم المشترك بين الأديان التوحيدية جميعاً هو أن رسالتها تخاطب الإنسان -أي إنسان وكل إنسان- بلا تمييز أو تفرقة؛ تخاطب الجوهر الإنساني الذي يشترك فيه البشر جميعاً. وبذاك كانت هذه الأديان أكبر محرك لفكرة المساواة في الكرامة الإنسانية عبر التاريخ: "لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى"؛ هكذا قال رسولنا الكريم (ﷺ)، وعلى هذا النهج سارت

حضارة الإسلام في عصورها الزاهرة، فاستوعبت الروم والفرس والترك واليهود والمسيحيين، حتى صاروا مساهمين حقيقيين في صناعة الحضارة والعمران.

• ثانياً: إننا لا بد أن نعترف -في الوقت ذاته- أن رسالة السماء التي حملها الأنبياء قد فهمها بشرٌ، وفسرها بشرٌ، وعمل بمقتضاها بشر؛ يخطئون ويصيبون، يحسنون الفهم ويضلون السبيل. والتاريخ يفيض بتجارب ووقائع تخفت خلالها أهداف خبيثة ومصالح ضيقة تحت راية الدين النبيلة، فسالت الدماء وأزهقت الأرواح. وقد اقتضى الأمر قروناً طوالاً قبل أن تدرك الإنسانية أن المزج بين الدين والسياسة يفسدهما معاً؛ ذلك أن الدين -أي دين- ينطلق من علاقة مع الخالق، فيما السياسة تعكس علاقة بين البشر وبعضهم البعض.

• ثالثاً: أن الأديان ليست بأي حال المسؤولة وحدها عن تراث العنف أو التطرف؛ هذه نظرة خاطئة ولا يصح أن نجاريَها، أو نتسرع في القَبول بها على خلفية أحداث معاصرة هنا أو هناك.

الحقيقة التاريخية الثابتة أن جرثومة التطرف وكراهية الآخر ظلت حاضرة وظاهرة في العديد من الأيديولوجيات والأنساق الفكرية والعقائد السياسية. والأغلبية الكاسحة من ضحايا القرن العشرين -الذين يحصون بعشرات الملايين- قضوا في حروبٍ غير دينية ولا تمت للدين بصلة.

إن التطرف في جوهره موقف من الحياة والآخرين، وهو ليس قاصراً على المجال الديني؛ هو موقف فكري وإنساني يفترض امتلاك عددٍ من البشر للحقيقة المطلقة، ومن ثم استحقاقهم للتميز على الآخرين والتسيد عليهم، تلك هي جرثومة التطرف التي تجعل البشر قادرين -تحت شعارات مختلفة- على ارتكاب أفظع الجرائم في حق إخوانهم في الإنسانية.

• رابعاً: إن الأخوة الإنسانية والتسامح صنوان لا يفترقان، البشر مختلفون في الأفكار والعقائد والعادات. ومفهوم التآخي الإنساني لا يهدف إلى تنميط البشر أو حملهم على إنكار ما بينهم من اختلاف، ففي اختلافهم رحمة.

الأخوة بين البشر تقوم في حقيقة الأمر على فضيلة التسامح، ولا يكون للتسامح معنىً إلا لو مارسناه مع الأفكار التي نرفضها ونختلف معها، التسامح هو قَبولٌ بمساحةٍ من الاختلاف بين البشر؛ إنه مفهوم – في أضيق معانيه- لا يفترض محبة الآخر المختلف، بل –فقط- احترامه بوصفه إنساناً مستحقاً لهذا الاحترام.

• خامساً: أن البشر، كما علمنا التاريخ، ليسوا محصنين من الارتداد إلى غرائزهم الأولى؛ حيث الانتماء إلى القبيلة يَجُبُّ كل انتماء، والولاء للعصبية يسبق كل ولاء. ونرى اليوم من الشواهد والمظاهر بامتداد العالم ما يشعرنا بالقلق حيال مستقبل الأخوة الإنسانية؛ فمشاعر العداء للآخر تتصاعد، والخوف من المهاجرين أصبح عملة سياسية رائجة، والقومية المتطرفة تكسب أرضاً جديدة كل يوم... والحقُّ أن هذه الشواهد كلها تُذكرنا بدور القيادات المستنيرة في توجيه الشعوب والمجتمعات -في الاتجاه الصحيح- بعيداً عن التطرف والكراهية. ونذكر في هذا المقام ثلاث شخصيات تاريخية احتفلنا العام الماضي في مصر، في مؤتمر الشباب بشرم الشيخ، بمئوية مولدهم؛ كان لكل منها بصمة خاصة على تاريخ بلده ولكن يجمعهم الإيمان بالإنسان حيثما كان، وبإمكانية التآخي ونبذ الكراهية بين البشر المختلفين.. أتحدث عن الرئيس أنور السادات، والزعيم نيلسون مانديلا، والرجل الذي أسس لنهضة البلد الذي يستضيفنا اليوم، ووضع بذرة التسامح والانفتاح على الآخر في تربته: الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. إنها قيادات فذة أنارت لشعوبها طريقاً إلى مستقبل أكثر إنسانية وسلاماً وإخاء. وتشتد حاجة عالمنا اليوم إلى هذا الصنف من الزعماء من أصحاب الرؤية والبصيرة والنظرة الإنسانية الشاملة.

• سادساً وأخيراً: إن الإنسانية –كنهج وطريقة حياة- ليست قيمة يكتسبها الإنسان بمجرد الميلاد، وإنما فضيلة يتعلمها ويمارسها. وأقتبس هنا مما قاله نيلسون مانديلا: ”إن كان بمقدورهم أن يتعلموا الكراهية، فبإمكانهم أن يُلقنوا المحبة“.

إن التسامح والإنسانية شيءٌ يمكن للإنسان -بل يجب عليه- أن يتعلمه ويتدرب عليه، وأولى خطوات هذا التعلم هي المعرفة، فالناس أعداء ما جهلوا

إننا أحوج ما نكون إلى تضمين مفاهيم الأخوة البشرية في مناهجنا التعليمية وبرامجنا الدراسية، لا بد أن ينشأ أبناؤنا عارفين بالآخر؛ بعقائده وثقافته وأفكاره، فهذا ما يُثري – في حقيقة الأمر- معرفتهم بذواتهم ويُعزز ثقتهم في ثقافتهم وحضارتهم؛ فالإنسان يرى نفسه بصورة أعمق في مرآة الآخر المختلف، وحينما يطلع المرء على عقائد الآخرين وثقافاتهم يُدرك على الفور قَدْرَ المشترَكِ الإنساني الذي يجمع البشر أجمعين.

السيدات والسادة..

إننا نعيش في منطقة طابعها التنوع الإنساني، في الملل والنحل والأعراق، إنها منطقة تزدهر بهذا التنوع الخلاق الذي لا يُمكن أن يكون سبباً للشقاق أو الكراهية والعنف.

تنوعنا نعمة إن عرفنا قيمتها وأحسنَّا إدارتها.

شكراً لكم